

نيتشه والتاريخ: حسن الاستعمال

Nietzsche and history: good use

عبد اللاوي عبد الله*

جامعة وهران 2 محمد بن احمد / الجزائر (pr_abdellah@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2021/12/12 ؛ تاريخ القبول : 2022/05/01 ؛ تاريخ النشر : 2022 /05/ 20

Abstract

الملخص

Perhaps this visionary text is a project for new historical studies that will stand in opposition to the alleged Linéaire established by the Western philosophies of history inherited from the Enlightenment era, to the establishment of actual dates, this is what justifies untimely considerations, that their time comes with the methodological school inherited by the School of Annals and History the new.

ربما يكون هذا النص الرائي مشروعاً للدراسات التاريخية الجديدة التي ستقف معارضة للخطية Linéaire المزعومة التي أرسطها فلسفات التاريخ الغربية الموروثة عن عصر الأنوار، إلى تأسيس تواريخ فعلية، هذا ما يسوغ الاعتبارات في غير أوانها، أن يحين أوانها مع المدرسة المنهجية التي ورثتها مدرسة الحوليات و التاريخ الجديد.

Keywords : Nietzsche, Western philosophy, Nietzsche and history, the Enlightenment

الكلمات المفتاحية: نيتشه، الفلسفة الغربية، نيتشه والتاريخ، عصر الأنوار

* الباحث المرسل:

1. مقدمة:

لم يكن بد من مواصلة مزاعم عصر الأنوار بالتبشير إلى تاريخ شمولي و كلي و أن التاريخ مشدود بغاية تحكم التقدم المطرد و المتصل " فإستعادة الصورة العامة لحاضرة ما ، و المبدأ الروحي الذي يتحكم في مجتمع من المجتمعات و الدلالة التي تضم ظواهر خفية ما، في حقبة من الحقب، و القانون الذي يشرح الارتياح القائم بينهما و ما نسميه مجازا "وجه العصر" و ذلك بافتراض وحدة الحيز المكاني لجميع الظواهر و افتراض منظومة من العلاقات المتجانسة والارتباطات العلية و علاقات التماثل (فوكو، 1986، ص 11).

سيجيء الفيلسوف "نيتشه " F.nietzsche، مدشنا الحقبة المعاصرة عندما يصف الانولوجي "ميشل ليريس" M.leiris بأن : " مجرد ذكر اسم "نيتشه" يثير صخباً لشعلة لا تهمد لأنه هو الذي سبب أمراض و أعراض الثقافة الغربية ، فنيتشه حسب هيدجر Martin Heidegger " هو الذي سيعتبر فلسفته كمدخل لحقبة جديدة ، القرن الذي سيجيء أي القرن الحالي فهو يتنبأ به مثل البداية حقبة أين لا تقارن فيها أبداً الانقلابات بالتّي عرفناها من قبل⁺ ولعل أهم هذه الانقلابات التي سيؤسسها نيتشه ستندرج ضمن ماسيسمييه بقلب الأفلاطونية أو مجاوزة الميتافيزيقيا لاحقا عند الآخرين، حتى مفهوم التنوير لم سيلم من انتقاد "نيتشه" له، لأنه كان يلبس لبوساً أنترولوجيا، لذلك سنركز على انتقاده لهذا المفهوم لأننا سنعتبره مدخلا في واضحا في فلسفة نيتشه التاريخية التي ستهنئ الولوج إلى فهم آخر و جديد للتاريخ و فلسفته وكتابه، ستعرفها الفلسفة الغربية لاحقا " ولعل أبلغ ما وصلت إليه فلسفة نيتشه في هذا المضمار هو " موت الإله " ، ومجمل هذا التراث الا محض تأويلات تراكمت عبر تاريخ الثقافة الغربية ، تطفو فوق الوجود و الحقيقة . فالخطاب النقدي النيتشوي الذي جعل برنامجه تجاوز

المتافيزيقا، لا يحيل إلى العقل إنما يجد مسوغاته من استعراض التعرية *Dévoilement*، الذاتية للحقيقة، أو حتى حلها *Dissolution* بتعبير أحدهم : "لأنه تقليديا أو حتى متافيزيقيا، الحقيقة هي معرفة مطابقة الموضوع للشيء أو كعدم التناقض ، لكن من وجهة نظر الجينيالوجيا ، هذه النظرية للحقيقة لا تنأى عن النقد و المناقشة.....إن ممارسة الجينيالوجيا تفرض إذا مرجعا لفهم آخر ومغاير للحقيقة التي وجدت عند نيتشه ولم تصبح موضوعة إلى مع هيدجر

M.Heidegger

عن طريق تحديده للحقيقة باعتبارها تعرية *Aléthéia* كتعرية غير مفارقة نوعا ما للحجاب^(Renault, 1988, p. 47)

فنيته قد دشّن مع ماركس و فرويد مرحلة جديدة في الفلسفة الغربية لحظة الشك. أي بدلا من الشك في الأشياء و موثوقيتها كما فعل ديكارت *Descartes* سابقا راحوا يشكون بالعقل الذي يشك بذاته ، لم يعد العقل موثوقا و مطلقا إلى الحد الذي أسسته العقلانيات الكلاسيكية مع ديكارت ، كانط و هيجل، و لعل نيتشه يعتبر الكاشف الأكبر عن انحراف وعود و مبادئ التنوير عن مسارها و عن الملابس السلبية للحدثات و منتجاتها، فالتاريخ لا يسير العقل فقط كما كان يعتقد من قبل، و إنما تسيره اللاعقلانية ، و أن المعرفة كذلك ليست شيئا مثاليا مجرد بعيدا عن ملابس الأنانيات و الأغراض و المصالح و السلطة، كما توهمت المثاليات قبل النيتشوية واستبطنت نتائجها فلسفة الأنوا، التي سيعمل "نيتشه" نقدها بشكل جذري.

عمل نيتشه على تشخيص الرؤية إلى العالم التاريخي، واعتبارها باتولوجية *Pathologique* واعتبارها لاراهنة *INACTUELLE*⁺⁺ لأن نيتشه سبّح ضد تيار الدعوات الطموحة التي هيمنت على القرن التاسع عشر، إلى ضرورة محاكاة المناهج المطبقة في العلوم الطبيعية، يلاحظ "ج.غرايش" *"J.Greish"* أن " نيتشه يدشن سؤالاً جديداً حول التاريخ ومعرفته، والذي لا يستعيد أسئلة "ديلتاي" *"Dilthey"* : تحت أي شروط تكون المعرفة التاريخية ممكنة، ولا إلى الأسئلة

الهيجلية "Hegel": ما هو المعنى العقلاني للصيرورة التاريخية للإنسانية؟ إنه يستبدل هذه الأسئلة، سؤال جديد هو، ما معنى العيش تاريخياً؟ أو ما هي فائدة الذات الحية في علاقتها مع التاريخ، فالمرور من هيجل إلى نيتشه، لا نغير فيه المرحلة، بل نغير كذلك وبشكل جذري الإشكالية [...] يظهر أن هيجل تحول إلى عدوى مرضية حقيقية في عهد نيتشه (riceour, 2001, p. 231).

إن معارضة، نيتشه، ستتجه إلى عدم حصر المشكلة في البعد الاستمولوجي للتاريخ، باعتبار التاريخ علم، لأن الأحداث التاريخية هي موضوع معرفة خاصة، لأن الإشكالية لديه تتعلق بعدم اختزال التاريخ في مشكلته الاستمولوجية، ولكن يجب أن نرد التاريخ إلى عظمته، ويبدأ نيتشه ببيان ذلك بالدفاع عن المنهجية العلمية، لأن العلم تحصل على قيمته، كما يرى، ليس من إنجازاته الكبيرة فقط، ولكن من مناهجه، ذلك أنه : لا يمكن لنتائج العلم كلها، لو افتقدت هذه المناهج، أن تمنع عودة الخرافة والبعث إلى السيادة مرة أخرى (نيتشه، 1998، فقرة 3)

إن هذه الدرجة، التي أقامها نيتشه، من خلال كتابه الثاني في الاعتبارات غير راهنة حول: "فائدة ومضار الدراسات التاريخية بالنسبة للحياة" (F.Nietzsche, 1988, p. 79) هي كذلك إدانة في المستوى الثاني، للهيمنة الكبيرة التي مارسها العلم التاريخي والفيلولوجيا على كل مظاهر الحياة في ألمانيا وأوروبا عن المستوى الأول الذي رأيناه مع تصاعد الوضعية العلمية التي إكتسحت كل شيء. فالأسئلة والتشخيص الذي بسطه "نيتشه" في كتابه هذا لم يكن ضد التاريخ أو المؤرخين بل كان من أجل الحس التاريخي، لكي لا يقضي عليه المؤرخين ولا يغلغوا في اختصاصاتهم الضيقة، والحس التاريخي يساوي الحياة نفسها وهذا الحس التاريخي هو الملكة التي تجعلنا قادرين على رؤية الظواهر دائماً ضمن المنظور التاريخي: "إن حسن الإدراك والإيمان بالمستقبل، يعتمد أساساً، سواء في الفرد أو في الجماعة، على كونهم خطأ يفصل بين الرواية الواضحة والغامضة، إننا يجب أن نعرف الوقت المناسب للنسيان تماماً مثل ما نعرف الوقت المناسب للتذكر، وأن نتبين غريزيا متى يصبح ضرورياً أن نشعر تاريخياً ومتى أن نشعر لا

تاريخيا، وهذا الاقتراح الذي أدعو القارئ إلى اعتباره، وبمعنى آخر أن التاريخي و اللاتاريخي يعتبران ضروريان لصحة الفرد والجماعة ولحضارة ما (F.Nietzsche, 1988, p. 79) في كثرة ما يغوص المؤرخ الفيلسوفي بالتاريخ و تفاصيله و تراكم معلوماته و أخباره ، ينسي التاريخ و الحياة نفسها لذلك سنجد نيتشه سينظر إلى الانتحار التاريخي الغربي و موت الإنسان التاريخي L'homohistoricus حتى يعرف الرجال لأن هذا الجيل يتجاهل الطبيعة العرضية في الاشكال التي يراها و يتعرض الآخرون رؤيتها و إدراكها و يمكن تسمية هذا الاتجاه بالفوق التاريخية ذلك لأن أي شخص سيتطيع التخلص من الايمان بالتاريخ بدرجة من الجدية أن يعرف فلسفة وجود الانسان في هذه الحياة وذلك فيما يتعلق بالمجموعات البشرية بغض النظر عن الأعراق و ظروف للزمان و بالنسبة لجميع بنى البشر. وقد يتبادر إلى الذهن أن يسأل الانسان أصدقاءه إذا كانوا يودون إعادة حياتهم [...] أما اشخاص التاريخيون نجد أن نظريتهم إلى الماضي سوف تحول نظريتهم تجاه المستقبل، و تشجعهم على تحمل الحياة و تضئ في نفوسهم الأمل بأن المستقبل سيكون أفضل لأنهم يعتقدون بلأن معنى الوجود و سيوف يصبح أكثر وضوحا في مجري تطور إنهم ينظرون إلى الخلف لكي يفهموا المستقبل و يحفزهم على التطلع الى المستقبل برغبة و اشتياق (F.Nietzsche, 1988, p. 83)، إذن على المؤرخ في نظرية نيتشه عليه أن يعرف كيف يستثمر ذلك التراكم للخروج بنتيجة عامة و إقتراح تفسير صحي للتاريخ، و أن المؤرخ كذلك في نظرة بكثرة البحث عن الوصول يصبح سرطان بكثرة ما ينظر إلى الوراء ينتهي به الأمر إلى الايمان

و إلى الوراء أيضا و على المؤرخ كذلك أن لا يقضي على الحياة المعاصرة التي يعيشها أي على حياة الحاضر التي هي وحدها النابضة بالحياة.

فالحياة في نظر نيتشه ، هي بحاجة إلى التاريخ، إلا أن الإفراط في التاريخ، يحيق الضرر بها وبالإنسان، لأن التاريخ يملكه الأحياء كما يقول حسب ثلاثة علاقات مختلفة هي لأنه فاعل بتصرفاته، يحفظ و كذلك في معاناته لأنه يرغب في الخلاص، نجد نيتشه يعيب على المؤرخين

أنماطهم الثلاثة المعهودة للتاريخ و استعمالاته و هي : التاريخ التذكاري Monumental ، التاريخ الأثري Antiquaire و التاريخ النقدي Critique .

أما الاستعمال الأول فهو الذي يأخذ التاريخ التقليدي على عاتقه استعادة الشخصيات العظيمة وحفظها في الحاضر الأبدى و تقديمها كهويات استبدالية و لهذا نجده يعيب على هذا التاريخ كونه محاكاة سلبية و حجرة عثرة أمام تدفق الحياة الحاضرة و إبداعاتها (F.Nietzsche, considération inactuelle, p. 2) كما قد يمدنا بتأويل خاطئ في بعض الحالات و قد يدعم مقاربات خاطئة بين الماضي و الحاضر، و قد يتحول إلى عائق إبستمولوجي كبير لأي محاولة للتفسير و الفهم، للأسباب التاريخية الحقيقة و بذلك قد يتحول إلى قوة للأسطرة.

الاستعمال الثاني للتاريخ، فيتعلق بحفظ الآثار و هو طريقة البشر في التاريخ إلى حنينهم إلى جذورهم و تشریف الدين الذي يربطهم بهويتهم و مناطقهم، و أن هذا التاريخ ينتمي إلى من يحفظ و يجل، إنه تاريخ الاعتراف بالجميل (F.Nietzsche, considération inactuelle, p. 70) إنه تاريخ مومبائي Momie و اتجاه مثل هذا، في نظره، يشكل خطر على الحياة أما الاستعمال الآخر، هو التاريخ النقدي ، هو الذي اتخذ من النقد شعاره، صار يقول عن نفسه بأنه هو " الحقيقة الموضوعية يلغي الذات العارفة لإدعائه الاهتمام بالحقيقة و يقوم بقمع ميول الذات العارفة: " إن الحياة تحتاج إلى نسيان " و المؤرخ يجري فحصه انتقاديا، و يرى أن الماضي ينبغي أن يوضع على مشرحة النقد، إن هذه العملية خطيرة على حياة ذاتها، إن محاكمة الماضي دائما ما تكون خطيرة (F.Nietzsche, considération inactuelle, p. 100).

مقابل هذا سيقترح نيتشه كما رأينا أعلاه " الحس التاريخي " أمام هذا العلم التاريخي، الذي وقع ضحية الميتافيزيقا و الدين و الأخلاق في حين أن ذلك الحس التاريخي لا يستند إلى مطلق و يفلت من قبضة الميتافيزيقا ليكون الأداة المفضلة للجينالوجيا العلم الذي يمحو كل التقديسات التقليدية بغية تحرير الإنسان و عدم الحفاظ على الأصل.

إن النقد المنتشوي للتاريخ، كان موجها ضد الجدلية العقلية (هيغل، كانط، الأنوار) و ذلك بتجاهلها للعنصر الاختلافي و الفارقي لتقييم ، وقضت على كل إمكانية للقول الفلسفي باعتبارها كشفا للقيمة و المعنى ، إنها نفى متواصل للبعد الجينالوجي الذي وحده بمثل الأسلوب الفلسفي الذي بإمكانه بيان العنصر الإختلافي للقوة، فالجينالوجيا وحدها الكفيلة بتفسير النشاطات الفعلية و تقوم أصل القوى من زاوية نبلها أو خساستها يقول فوكو مقرضا نيتشه في فهمه للتاريخ ومعرفته. " إن المعرفة حتى فى المستوى التاريخي لا تعنى الاستعادة قط ، وهي لا تعني بالأولى 'استعادة الذات، سيكون التاريخ فعليا يقدر ما يقم الانفصال فى وجودنا ذاته فيجزئ عواطفنا، ويشكك في ميولنا و يعدد جسمنا و يجعله فى تعارض مع ذاته' حينئذ لن يدع شيئا يتمتع باستقرار الحياة أو الطبيعة، كما أنه لن يجرى بعناد نحو غاية أبدية، إنه سيحفر الأساس الذي نسعى لإقامته عليه و يشن حملة على اتصاله المزعوم، ذلك أن المعرفة لم تخلق لأجل الفهم وإنما لأجل التكسير و الحسم (فوكو م، 1988، ص 59).

ربما يكون هذا النص الرائي مشروعا للدراسات التاريخية الجديدة التي ستقف معارضة للخطية Linéaire المزعومة التي أرسنها فلسفات التاريخ الغربية الموروثة عن عصر الأنوار، إلى تأسيس تواريخ فعلية، هذا ما يسوغ الاعتبارات في غير أوانها، أن يحين أوانها مع المدرسة المنهجية التي ورثتها مدرسة الحوليات و التاريخ الجديد.

قائمة المصادر والمراجع:

F.Nietzsche. (1988). *seconde considération intenpestive-de l'utilité et de l'inconvénient des études historique pour la vie*. flammarion :

Présentation /P-Y Bourvil-trad par / Henri albert .

F.Nietzsche. (s.d.). *considération inactuelle*. Paris: Richard Wagner à Bayreuth, Trad.- par P. David Gallimard Paris.

Renault, L. F. (1988). *la pensée 68* Gallimard. Paris: Paris.

riceour, J. p. (2001). *L'itinérance ce du sens*. De. jérôme millon grenoble.

فريدريك نيتشه .(1998) *إنسان مفرط في إنسانيته* . تر :، محمد ناجي، المحرر (بيروت :إفريقيا

الشرق، ط1، ج.1

ميشال فوكو .(1986) *حضريات المعرفة* . تر، سالم يعقوب، المحرر (الدار البيضاء :المركز

الثقافي العربي، ط.1

ميشيل فوكو .(1988) *جنيا/الوجيا* . ترجمة/ أحمد السطاتي وعبد السلام . بنعبد العالي،

المحرر(المغرب :دار توبقال – الدار البيضاء، ط.1

⁺ Heidegger / Nietzsche.

⁺⁺بدلا راهنة : تعني تأكيد خارج الفترة ، أو ضد الزمن، أو حدث يأتي بغتة ليعيق مشروع ما